الفكر الفلسفي عند الصوفيين (الكلمة) انموذجاً

الدكتور
ياسين حسين الويسي (*)

المقدمة

ان الفكر الصوفي اثبت منذ نعومة إظفاره انه فكر عميق يبرز ذلك من خلال تناول الصوفية للألفاظ والمصطلحات البالغة الدقة والتنوع في المعاني والمدلولات بحسب تجربة كل صوفي، وكما يرى ابن خلدون ان الطرق إلى الله بعدد انفاس الخلائق فأن التعدد في المعاني بحسب التجربة الصوفية ونحن إذ نأخذ مصطلح الكلمة عند الصوفية فأننا نتناول اهم من تكلم في هذا المصطلح بحيث أصبحت له نظرية مستقلة فيه فلقد اشتهر الجنيد والحلاج بأقوال الفناء واشتهر ابن الفارض بالتركيز على الحقيقة المحمدية واشتهر الغزالي بنظرية المطاع، واشتهر ابن عربي وعبد الكريم الجيلي بنظرية الإنسان الكامل، وقد تناولت في المطلب الأول من هذا البحث: الكلمة بمعنى التوحيد والفناء. وفي المطلب الثاني: الكلمة بمعنى الحقيقة المحمدية. وفي المطلب الثالث الكلمة بمعنى الانسان الكامل. وفي المطلب الرابع: الكلمة بمعنى المطاع وقد ختمت البحث بخاتمة تناولت فيها النتائج المتوخاة من هذا البحث واشرت إلى توصية مهمة للباحثين في هذا المجال. وقد اعتمدت على المصادر والمراجع الصوفية المهمة والتي تعتبر الاساس عند الصوفية انفسهم، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى اله وصحبه اجمعين.

الباحث

المطلب الأول-الكلمة بمعنى التوحيد والفناء

ان ارتباط الكلمة وصلتها بالذات الالهية تتباين لدى أئمة التصوف في الاسلام فهذا الجنيد البغدادي (ت ٢٩٧) يرى ان معنى الكلمة هو التوحيد الذي اخذه من بني آدم في آية الميثاق فيرى الجنيد: (ان ارواح البشر آمنت منذ الازل بالله واقرت بتوحيده وهي لم تزل بعد في عالم الذرو قبل ان يخلق الله العالم والاجسام المادية التي هبطت تلك الارواح اليها، وان هذا هو التوحيد الكامل الخالص لأنه صدر عن ارواح مطهرة

(*) كلية الآداب –الجامعة المستنصرية.

مجردة من اعراض البدن وآفاته، موجودة لا بوجودها المتعين الخاص، بل وجود الحق ذاته)[١].

وفي هذا المعنى يقول الجنيد: (فقد اخبرك عز وجل أي في آية الميثاق وهي "واذ اخذ ربك من بني آدم... الخ" انه خاطبهم وهم غير موجودين إلا بوجوده لهم إذ كان واجد للخليقة بغير معنى وجودها بأنفسها، بالمعنى الذي لا يعلمه غيره ولا يجده سواه، فقد كان واحداً محيطاً شاهداً عليهم، ابدياً في حال فنائهم)[٢].

وقد انزل الله هذه الارواح من عليائها إلى عالمنا هذا والبسها ابدانها قصد للبلاء والاختبار، فشغل بعضها بأعراض الدنيا ونسي اصله وموطنه، وحن بعضها إلى العودة إلى ذلك الاصل وجعل غايته الوفاء لذلك الميثاق الذي اخذه الله عليه، والرجوع إلى تلك الحال التي كان عليها قبل ان يوجد في هذا العالم، فإذا تم لهذه الأرواح ما ارادت، وجدت الله بالتوحيد الكامل الخالص-أو ما يقاربه-وفنيت عن وجودها الزمني وبقيت بالله وحده. وفي هذا الفناء في الحق يتحقق معنى الحب له: اذ الفناء عن الذات المتعينة هو عين المحبة لمن تبقى الذات حية فيه ولا تشهد سواه أما الفناء في الحق فقد تحقق أزلاً-في نظر الجنيد-إذ لم يكن في الأزل سوى الله: والفناء هو مطلوب الصوفية الآن)[٣] وهذا التوحيد المتأصل قبل الوجود والذي سبيله الفناء عن الذات بعد الوجود وهو نفس المعنى الذي قال به ابو اليزيد البسطاني (ت ٢٦١) من قبله والحسين بن منصور الحلاج (ت٣٠٩) من بعده فهذا البسطاحي يقول: (اشرفت على ميدان الليسية فما زالت اطير فيه عشر سنين حتى صرت من ليس في ليس بليس، ثم اشرفت على التضييع حتى ضعت في الضياع ضياعاً، وضعت فضيعت عن التضييع بليس في ليس في ضياعة التضييع، ثم اشرفت على التوحيد في غيبوبة الخلق عن العارف، وغيبوبة العارف عن الخلق)[٤].

أما الحلاج الذي له في الكلمة مدلولات متعددة بأنها الحقيقة المحمدية او هي الفناء عن الذات البشرية والبقاء بالذات الالهية التي هي سبب وجود الموجودات أو هي الموجود الوحيد الذي من وجوده انبثقت الموجودات او هي الروح الناطقة والانسان الكامل، وهذه المعاني التي قال بها الحلاج نابعة من فلسفة الحلاج للعبارة التي تقول "خلق الله آدم على صورته" بأنه ارجع الضمير في قوله (على صوته) إلى

---

(١) ابو العلا عفيفي، التصوف الثورة الروحية في الاسلام، دار الشعب للطباعة والنشر، بيروت، ص٢٠٥.

(٢) الجنيد، كتاب الفناء، مخطوطة اسطنبول، ورقة ١٥٥.

(٣) ابو العلا عفيفي، التصوف الثورة الروحية في الاسلام، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٤) احمد توفيق عباد، التصوف الاسلامي تاريخه ومدارسه وطبيعته وأثره، مكتبة الانجلو، القاهرة، ١٩٧٠، ص٦٧.

الذات الالهية لا إلى الانسان (فسرها في ضوء نظرية حلولية هي اشبه ما تكون بنظرية النصارى في طبيعة الانسان بوجه عام)(٥).

ان جرئة الحلاج في ابراز هذه النظرية في الكلمة إلى حيز الوجود بعد ان استولت على قلبه كانت السبب الاساسي في صلبه. ومن شواهد هذه الاقوال:

(سبحان من اظهر ناموته   سرسنا لا هوته الثاقب
ثم بدا الخلق ظاهراً   في صورة الآكل والشارب
حتى لقد عاينه خلقه   كلحظة الحاجب بالحاجب)(٦)

ومن هذه الأقوال ايضاً:

(مزجت روحك في روحي كما   تمزج الخمرة في الماء الزلال
فإذا مسك شيء مسني   فاذا انت انا في كل حال)(٧)

وكذلك قوله:

(انا من اهوى ومن اهوى انا   نحن روحان حللنا بدنا
فإذا ابصرتني ابصرته   وإذا ابصرته ابصرتنا)(٨)

ومنها أيضاً:

(لك بين الشغاف والقلب تجري   مثل جري الدموع في الاجفان
ويحل الضمير جوف فؤادي   كحلول الارواح في الابدان
ليس من ساكن تحرك إلا   انت حركته خفي المكان)(٩)

هذه الاقوال وغيرها جعلت الحلاج غير مقبولاً في الوسط الاسلامي حتى عند بعض مشايخ الصوفية كما يذكر السلمي فيقول: (رده اكثر المشايخ ونفوه وابوا ان يكون له قدم في التصوف)(١٠) أن هذا الظهور الإلهي في الصورة البشرية على حد تصورات الحلاج جعلت من هذا الإنسان الذي هو محط الظهور جعلت منه معنى الكلمة التي انتهى الحلاج إلى معناها بانها (الحقيقة المحمدية) التي قال فيها: (طمس سراج من نور الغيب، بداو عاد، وجاوز السراج وساد قمر تجلى من بين الاقمار، برجه في فلك الاسرار سماه الحق "اميا" لجمع همته، وحرمياً لعظم نعمته، ومكياً لتمكينه عند قربه.... أنوار النبوة من نوره برزت، وأنوارهم من نوره ظهرت، وليس في الانوار أنور وأظهر، وأقدم من القدم، سوى نور صاحب الكرم، همته سبقت الهمم،

---

(٥) ابو العلاء عفيفي ، التصوف الثورة الروحية في الاسلام ، ص٢٢٠ – ٢٢١ .
(٦) الحلاج ، الطوايين نشره ماسينون ، باريس ، ١٩١٣ ، ص١٣٠ .
(٧) المصدر نفسه ، ص١٣٤ .
(٨) الحلاج ، الطوايين نشره ماسينون ، ص١٦٥ – ١٦٦ .
(٩) السلمي (ابو عبد الرحمن) طبقات الصوفية، تحقيق : نور الدين شريبة، ص٣٠٩. كذلك ديوان الحلاج نشره د. كامل مصطفى الشيبي ، ط٢،بغداد ١٤٠٤–١٥٤٨ ،ص٨٠–٨١ .
(١٠) السلمي ، طبقات الصوفية ، ص٣٠٧.

ووجوده سبق العدم، وأسمه سبق الكلم، لأنه كان قبل الامم.... العلوم كلها قطرة من بحره، الحكم كلها غرفة من نهره، الازمان كلها ساعة من دهره..... الحق وبه الحقيقة، وهو الاول في الوصلة، هو الآخر في النبوة، والباطن في الحقيقة والظاهر بالمعرفة)[١١].

وبالرغم من أن الاستاذ نيكولسون يرى أن الحلاج من القائلين (بِقِدم النور المحمدي الذي أنبعثت منه جميع أنوار النبوة، ولكنه يجد في عيسى –لا في محمد– المثال الكامل للرجل الذي وصل إلى مقام القربى فحل فيه روح الله. ففي عيسى على هذا الرأي روحان: روح إلهية قديمة ولا تجري عليها أحكام الفناء والتغير، وروح بشرية حادثة تجري عليها احكام الكون والفساد)[١٢] وأرى أن الاستاذ نيكولسون يريد أن يعرض الفلسفة المسيحية بلسان شخص مسلم ليثبت أن المسيحية هي المصدر الاول لفلاسفة الاسلام في حين ان فتى بيضاء راى (أن الانسان هو (صورة الله) ومظهر تجليه فقال: "أن لم تعرفوه ، فاعرفوا آثاره، وانا ذلك الأثر، وأنا الحق، لأني لازلت أبداً بالحق حقاً)[١٣] ويرى الحلاج ايضاً: (ان الله في كل شيء، فكل ما يقع عليه البصر، فهو نقطة بين نقطتين، "والخط" كله نقط مجتمعة، ومن هذا قال: ما رايت شيئاً إلا ورايت الله فيه)[١٤] وبهذا المنطق قال الحلاج: أنا الله... وما في الجبة غير الله وهذا التعدد في معاني الكلمة نلحضه عند الحلاج لكنها تشير إلى شيء واحد هو الواسطة بين الخالق والمخلوق فهو يستخدم الفناء في الحق، والحقيقة المحمدية أو الإنسان الكامل والروح الناطقة، والمعنى الاخير نلمسه في مناجات الحلاج يوم مقتله حيث يقول: (نحن بشواهدك نلوذ وبسنا عزتك نستضيء لتبدي لنا ما شئت من شأنك وانت الذي في السماء عرشك وأنت الذي في السماء إله وفي الارض إله تجلى كما تشاء... مثل تجليك في مشيئتك كأحسن صورة والصورة... هي الروح الناطقة التي أفردته بالعلم والبيان والقدرة)[١٥] وهو في هذا لا يختلف عن البسطامي الذي يقول (كمال العارف إحتراقه بربه.... وكنت لي مرآة ، فصرت أنا المرآة)[١٦] وهذا الاحتراق في الله تعالى الذي اشار إليه البسطامي تجلى في مصرع الحلاج حيث (احترق بربه وحرق، احرق بعد قتله في قضية لاتزال تشغل الصوفية والدارسين لها

---

(١١) الحلاج ، الطواسين ، ص١٦٥-١٧٥ .

(١٢) أ. نيكولسون ، في التصوف الإسلامي وتاريخه ، ترجمة أبو العلا عفيفي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٨هـ – ١٩٦٩ القاهرة ، ص١٣٤ .

(١٣) الحلاج : الطواسين ، ص٥١ .

(١٤) الحلاج : أخبار الحلاج نشرة ماسينيون وكراوس ، باريس ١٩٣٦ ، ص١٦ .

(١٥) الحلاج : أخبار الحلاج ،ص١١ .

(١٦) السهلجي ، النور من كلمات ابي طيفور ، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي ضمن كتاب (شطحات الصوفية) ، ص١٠٥ .

اليوم)[17] ان هذا المنهج الذي بدئه الحلاج في تصوره لمعاني الكلمة من اعتبارات الفناء والحقيقة المحمدية، الروح الناطقة والانسان الكامل، تمحور على شكل مذهب متكامل في ادب ابن الفارض في تائيته الكبرى وفي نظرية الانسان الكامل لعبد الكريم الجيلي.

المطلب الثاني-الكلمة بمعنى الحقيقة المحمدية

لقد عبر الصوفية عن الكلمة بمعنى الحقيقة المحمدية، والروح الاعظم والانسان الكامل المتجسد بشخص النبي محمد (ﷺ) وانه الكلمة الاولى والعقل والمبدأ الاولي ولوغوس سابق، معتمدين على حديث: "كنت نبياً وآدم بين الماء والطين "وفي رواية" وان آدم لمنجدل في طينته "ان هذا الحديث وغيره من الاحاديث الضعيفة الاخرى التي ورد فيها انه: (أول الخلق، والقبضة النورانية، والعقل)[18] ومن تلك الاحاديث الخاصة بالعقل ومنها: (أول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فأقبل ثم قال له ادبر فأدبر ثم قال الله عز وجل: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً اكرم علي منك...الخ)[19]وحديث (ما خلق الله عز وجل خلقاً اكرم عليه من العقل)[20] وايضاً حديث (يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل)[21]. ونلاحظ من خلال هذه الاحاديث التي بثتها الأفكار المتحررة في الوسط الإسلامي كأخوان الصفا والاسماعيلية والمتصوفة امتزاج المعاني الصوفية للكلمة بالفلسفة اليونانية التي عبرت عن الكلمة بالعقل فلقد (سوى الصوفية بين الحقيقة المحمدية وبين العقل، سووا بينها وبين الروح الأعظم)[22]. فهذه الحقيقة المحمدية (هي الروح الاعظم المبعوث إلى النفس الكلية ثم إلى النفوس الجزئية. ولئن تجلت الحقيقة في الانبياء ببعض اسمائها وصفاتها، فلقد تجلت في المظهر المحمدي بذاتها وجميع صفاتها)[23] وهذا الترابط والامتزاج بين الحقيقة المحمدية المتمثلة بالانسان الكامل والمتجلية في المظهر المحمدي نلمسها في

---

(17) يوسف زيدان ، الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨ ، ص١٤١ .

(18) د. عاطف جودة نصر ، شعر عمرو الفارض ، دراسة في فن الشعر الصوفي ، دار الاندلس ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤٠٢ ـ ١٩٨٢ ، ص٢٠٣ .

(19) ذكره الطبراني في الاوسط من حديث ابي امامة ، وابو نعيم من حديث عائشة باسنادين ضعيفين ، وذكره الغزالي في الاحياء بسند ضعيف ايضاً .

(20) رواه الحكيم الترمذي في النوادر من رواية الحسن عن عدة من الصحابة ، وبسند ضعيف.

(21) رواه داود بن المجد من حديث ابي هريرة في مسند الحرث بن ابي اسامة عن داود ، قال الحافظ العراقي وداود هذا احد الضعفاء .

(22) د. عاطف جودة نصر ، شعر عمر بن الفارض ، ص٢٠٤ .

(23) عبد الرزاق الكاشاني، كشف الوجوه الغر لمعاني نظم الدر وهو على هامش الديوان بشرحي البوريني والنابلسي، ج١، ص٢٣-٢٤.

نصوص الصوفية فهذا ابن عربي يقول: (لما كان الإنسان أول موجود بالفعل في العـ واسمه العقل، وثاني موجود بالتفاعل واسمه المعقول، وثالث موجود بالمعرفة في الفاعلية والشهود واسمه العاقل، فهو العقل والعاقل والمعقول، وجبت خلافته عن الله تعالى ونيابته عنه في الابانة لسائر المخلوقات ودلالته عليه في جميع التجليات واشارة اليه في جميع الظهورات)[٢٤] وعلى ذلك فأن الحقيقة المحمدية عند الصوفية: (أول مخلوق لأن حقيقته كانت موجودة في الهباء وهو أول الخلق فلما تجلى بنوره إلى الهباء والعالم فيه بالقوة ، قبل منه كل شيء على حسب قربه من النور، ولم يكن احد اقرب اليه من حقيقته (ﷺ). فكان مبدأ ظهور العالم وأول موجود)[٢٥] ويرى جولد تسيهر: (ان فكرة انطباع صور المصطفين في العرش قد أتت من تصورات يهودية حيث تقول الهجادا في إحدى الروايات وان صورة الانسان الموجود بالجزء الأعلى من العرش السماوي، هي صورة يعقوب التي رفعت إلى عرش الله، والملائكة الذين يصعدون وينزلون على سلم السماء يعرفون في وجه الرحالة النائم الصورة السماوية الأولى (حزقيل١-٢٦)[٢٦] والحق ان رؤى الصوفية للحقيقة المحمدية تختلف تماماً عن ما يقرره جولستيهر فلقد فهم الصوفية سبق محمد (ﷺ) لآدم في الوجود والخلق وتأخره عنه في الظهور من خلال بعض النصوص مثل قوله تعالى {وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم}[٢٧].

وحديث " اول ما خلق الله نور نبيك يا جابر "كل ذلك يجعل للصوفية سنداً اسلامي في هذا الفهم وليس يهودياً. (ولعل الصوفية قد ادركوا وجه المفارقة في كون نبوته عليه السلام كانت قبل آدم مع انه لا حق عليه في الظهور وهي تبدو في شكل مفارقة السابقة واللاحقة أو الأول والآخر، وهي مفارقة يبررها مذهبهم في الوجود لأن الوجود عندهم له حقيقة ومعنى في عالم الغيب، وله ظهور وشهادة وصورة هي في تمام التطابق مع المعنى، وبعبارة أخرى يقولون ان للوجود مبدأين، مبدأ الوجود بالقوة ، ومبدأ الوجود بالفعل أو الوجود على هيئة الامكان والوجود على هيئة الواقع ومعنى ذلك ان الوجود الخارجي للنبوة وهو الوجود الفعلي الواقعي في العالم، مجرد مظهر لصورة هذا الوجود في العلم الالهي القديم)[٢٨] والذي نتفق فيه مع جولدستيهر هو ان نبوة الروح الأعظم بحسب ما يراه الصوفية انها (ذات حركة دورية في مسار

---

(٢٤) ابن عربي ، مرآة المعاني في ادراك العالم الانساني ، مخطوط بدار الكتب برقم (٣١) مجاميع ص٣٩٣ .

(٢٥) د. عاطف جودة نصر ، شعر عمر بن الفارض ، ص٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

(٢٦) جولتسيهر ، العناصر الافلاطونية والغنوصية في الحديث ، ترجمة د. عبد الرحمن بدوي ، ط ١٩٦٥ ، ضمن كتاب التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، دراسات لكبار المستشرقين ص٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

(٢٧) سورة الاحزاب ، الآية ٧ .

(٢٨) د. عاطف جودة نصر ، شعر عمر بن الفارض ، ص٢٠٥ .

التاريخ ينطبق فيها الطرفان، وتلتحم البداية بالنهاية التي هي ختم النبوة، فنبوته (ﷺ) ممتدة للكل وظاهرة فيه على شكل أدوار تترى ، لأنها نبوة الروح الأعظم)[٢٩] كذلك يرى الصوفية بحسب جولدتسيهر (ان الخلاف بين الانبياء لم يكن إلا في المظهر الخارجي ، اما في الحقيقة فأنه رسول واحد بعث إلى العالمين في أزمنة مختلفة وفي مظاهر جسمانية متباينة كي يعلن للناس ارادة الله وينبئهم بمشيته)[٣٠] ويرى ابن الفارض ان هذه الكلمة المتمثلة في الحقيقة المحمدية يمكنها الاتحاد بروح الصوفي ويعبر عن هذا الاتحاد بالأبيات الآتية:

وقد جاءني مني رسول عليه ما — عنت عزيز بي حريص لرأفتي
ومن عهد عهدي قبل عصر عناصري — إلى دار بعث قبل انذار بعثة
إلي رسولاً كنت مني مرسلاً — وذاتي بآياتي علي استدلت)[٣١]

ومن هذه الابيات نستدل على ان نهاية طريق الصوفي هو الوصول إلى ذلك النور والتكلم بلسانه، (فالنور المحمدي عندهم هو الروح الالهي الذي نفح الله منه في ادم ، وهو شيء اشبه بالعقل (Nous) الذي قال به افلاطون وعده أول الفيوضات التي صدرت عن "الواحد الحق" واشبه بالكلمة الالهية التي ذكر بعض الغنوصين المسيحيين انها تظهر بصورة الانبياء، وانها مصدر الوحي، ولكن النظرية الاسلامية في "الكلمة الالهية" نظرية متعددة الصورة، منصبغة إلى حد كبير بالصبغة الصوفية)[٣٢] ان صعوبة فهم النظرية الصوفية في الكلمة تظهر في تمييزهم بين الصورة الجسدية الشخصية وبين الحقيقة المحمدية (ولذا يتعذر فهم تفاصيلها في أغلب الأحيان على الرغم من وضوح معالمها الرئيسة فمحمد أو بالاحرى الحقيقة المحمدية-لا الصورة الشخصية الجسدية-هو مبدأ الحياة ومركزها في العالم. فهو بهذا المعنى روح كل شيء وحياته. وهو من جهة اخرى الواسطة بين الله وعباده، والمنبع الذي يفيض منه على العارفين معرفتهم بالله على نحو ما يعرف الله نفسه، وتصل اليهم منه العطايا والمنح الالهية)[٣٣].

ان الرسول الذي اشار اليه ابن الفارض هو (الروح الكلية التي ارسلتها الذات الالهية إلى النفس الكلية بآيات صفاتها وأسمائها وحقيقة النفس والروح وغيرها هي الذات النازلة إلى المراتب محجبة بحجب التعينات، ووصف الرسول بالشفقة والحرص

---

(٢٩) المصدر نفسه ، ص٢٠٦ .
(٣٠) جولدتسيهر ، العناصر الافلاطونية والغنوصية في الحديث ضمن كتاب التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ، ص٢٣٥ .
(٣١) د. عاطف جودة نصر ، شعر عمر بن الفارض ، ص٢٠٦ .
(٣٢) نيكولسون، في التصوف الاسلامي وتاريخه، ص١٥٩.
(٣٣) نيكولسون، في التصوف الاسلامي وتاريخه، ١٥٩ .

لأن الروح شفيقة على النفس حريص بتربيتها لما بينهما من التلازم والتعاشق الأزلي وحكى بلسان الجمع عن هذا المقام فأخبر انه رسول مرسل منه اليه، فالذات باعتبار التجرد والابتداء تكون مرسلاً، وباعتبار تلبسها بلباس النفس تكون مرسلاً اليها فهي رسالة ازلية قبل الميثاق وقبل العناصر وتعلق الروح بالجسم)[٣٤] وفي ذلك اشارة الى (ان هذه النبوة هي صورة الروح الأعظم ومظهره)[٣٥].

وقد يعبرون الصوفية: (عن الحقيقة المحمدية بصاد (ﷺ) لأنه صورة الحق)[٣٦]، أما الأحاديث التي اعتمدها الصوفية في وصف الحقيقة المحمدية بالعقل والروح الأعظم والنور، والقبضة النورانية، مثل حديث "ان الله قبض قبضة من نوره وقال لها كوني محمداً فكانت"، وحديث "اول ما خلق الله نوري" جاءت متطابقة مع فهم الصوفية للحقيقة المحمدية على انها (الكلمة الالهية).

اما الاحاديث السالفة فلقد تأولها الصوفية بشيء من الذوق وضرب من الص... (والقبضة عندهم هي التعّين الذاتي لا يوصف بقبلية ولا بعدية، والمراد بهذا التعين ظهور الحقيقة المحمدية في نفسها ومراتبها، والتعيّن لا يوصف باتصال ولا بانفصال او اقتطاع، بل ذلك كله عبارة عن تعين الغيب من غيبة في عينه والكينونة المشار اليها في الحديث ليست على معناها الوضعي، بل المراد بها خطاب التعين نفسه في نفسه فالأمر بالنسبة للتعين الصادر عن ان لا تعين)[٣٧].

وخطاب التعين الصادر والأمر عن ان لا تعين هو الكلمة والمعنى المتجسد في الحقيقة المحمدية التي عبر ابن الفارض بلسان هذه الحقيقة بقوله:

واهل تلقي الروح باسمي دعوا إلى ... سبيلي وحجوا الملحدين بحجتي
وكلهم عن سبق معاني دائر ... بدائرتي او وارد من شريعتي
واني وان كنت ابن ادم صورة ... فلي فيه معنى شاهد بأبوتي
ونفس على مجر التجلي برشدها ... تجلت وفي مجر التجلي ... تربت
ولا تحسبن الامر عني خارجاً ... فما ساد إلا داخل في عبودتي
ولولاي لم يوجد وجود ولم يكن ... شهود ولم تعهد عهود ... بذمتي
فلاحي إلا عن حياتي حياته ... وطوع مرادي كل نفس ... مريدة
ولا قائل إلا بلفظي محدث ... ولا ناظر إلا بناظر ... مقلتي

---

(٣٤) د. عاطف جودة نصر، شعر عمر بن الفارض، ص٢٠٦ـ ٢٠٧.
(٣٥) الكاشاني، كشف الوجوه الغر، ج٢، ص٧٩ـ٨٠.
(٣٦) كمال الدين عبد الرزاق الكاشاني، اصطلاحات الصوفية ، مخطوط بمكتبة الأزهر برقم (... في اربعين ورقة ضمن مجاميع.
(٣٧) ابو بكر بناني، مدارج السلوك إلى مالك الملوك ، ط١، ١٣٣٠هـ ، في تعليق على الصلاة المشيشية، ص١٥٦.

ولا منصت ولا بسمعي سامع ولا باطش إلا بأزلي وشدةٍ
ولا ناطق غيري ولا ناظر ولا سميع سوائي من جميع الخليقة
وفي عالم التركيب في كل صورةٍ ظهرت بمعنى عنه بالحسن زينتي)[٣٨]

المطلب الثالث – الكلمة بمعنى الانسان الكامل

لقد اتخذت الكلمة عند الصوفية معاني كثيرة ومتعددة ولكنها تدل على شيء واحد هو المخلوق الأول واصل الوجود والواسطة بين الله تعالى ومخلوقاته، وهذا المخلوق يقابل الحق من جهة ويقابل الخلق من جهة اخرى فهو انسان في مقابلته الحق وكامل في مقابلته للخلق فقد اصطلح عليه الصوفية (الانسان الكامل) وعليه فالانسان الكامل عند الجيلي هو: (صورة كمال الذات الازلي التخليد.. وخليفة الله الذي اشارت اليه الايات)[٣٩] ويريد بذلك قوله تعالى {واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة}[٤٠]، وقد وصف عبد الكريم الجيلي هذه المرتبة قال:

تجلى إياها بغير تأول كما انها اياي والحق واسع)[٤١]

ان مقابلة الانسان الكامل للحق تتضح عندما تظهر الصفات الالهية فيه وهذه الصفات السبع هي (الحياة–العلم–الارادة–القدرة–الكلام–السمع–البصر) والتي يتأولها الجيلي بأنها السبع المثاني في قوله {ولقد اتيناك سبعاً من المثاني }[٤٢]. وهذه الصفات الذاتية يسميها الجيلي بـ (امهات الظهور)[٤٣]. وسوف نعرض رأي الجيلي في تجلي بعض هذه الصفات الالهية في الانسان الكامل وهي مترابطة.

فالحياة هي صفة الله تعالى وهو الحي وحياته هي الحياة التامة التي لا يلحقها الموت والفناء (والانسان الكامل تظهر فيه "الحياة" بصورتها التامة فهو موجود وجوداً حقيقياً لا اضافياً، فهو الحي التام الحياة)[٤٤] وفي العينية يقول:

(وجسمي للأجسام روح مدبر وفي ذرٍ منه الانام جوامع)[٤٥]

---

(٣٨) عاطف جودة نصر ، شعر عمر بن الفارض ، ص٢٠٧ .
عبد الكريم الجيلي ، الكهف من الرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم مخطوط بمكتبة البلدية الاسكندرية ، برقم ١٧٨٦ د/تصوف نسخة ضمن مجموعة ، ورقة ٢ .
سورة البقرة ، الاية ٣٠ .
عبد الكريم الجيلي،النادرات العينية،نشرة د. يوسف زيدان مع شرح النابلسي،البيت ٤٨٥.
سورة الحجر من الاية ٨٧ .
عبد الكريم الجيلي ، شرح مشكلات الفتوحات المكية وفتح الابواب المغلقات من العلوم اللدنية ، مخطوط برقم ٨١٣٧٩ د/تصوف بمكتبة البلدية ، الاسكندرية ، ورقة ١٨ أ .
عبد الكريم الجيلي ، الانسان الكامل في معرفة الأمواخر والاوائل ، مطبعة صبيح بالازهر، ١٩٦٠ ، ج١ ، ص٤٢ .
عبد الكريم الجيلي ، النادرات ، البيت ٤٩٣ .

أما العلم (الله هو العليم، والعلم صفة نفسية ازلية لازمة للحياة)[٤٦] ويتفق الجيلي مع ابن عربي في ان (لا يجوز القول بأن المعلومات اعطته-تعالى-العلم من ذاتها فأن ذلك يلزم ان يكون قد استفاد من غيره تعالى عن ذلك... وكما ان الانسان الكامل مظهر للحياة التامة التي تقوم عليها كل حياة، فهو كذلك مظهر العلم التام، الذي يعلم منه كل عليم، فالانسان الكامل لا يحجب عنه شيء)[٤٧] واشار الجيلي إلى نفس المعنى في العينية حيث يقول:

واعلم ما قد كان في زمن مضى وحالاً وأدري ما أراه مضارع[٤٨]

والارادة: وهي (تجلي أمر الله على حسب ما يقتضيه علمه وحكمته... والاراد كما هي صفة ذاتية للحق، فهي كذلك صفة ذاتية للإنسان الكامل فهو يفعل ما يشاء)[٤٩] ويصور هذا المعنى في بيت شعري رائع في العينية فيقول:

وأجري على لوح المقادير ما اشا وبالقلم الاعلى فكفي بارع[٥٠]

والقدرة التي هي (ابراز المعلومات واختراع الأشياء من العدم إلى الشهود على حسب ما يقتضيه علمه المحيط بالعدم والشهود... او ايجاد المعدوم على ما يقتضيه العلم الالهي. وتظهر القدرة في الانسان الكامل بتمامها وتتجذب الموجودات إلى امتثال امره، كما تنجذب الابرة إلى جبل المغناطيس، فهو متصرف تماماً في الاشياء)[٥١] وإلى نفس المعنى يشير في قصيدته فيقول:

اصور مهما شئت من عدم كما اقدر مهما شئت وهو مطاوع[٥٢]

واما مقابلة الانسان الكامل للخليفة واثبات التوازي والمشابهة بين الانسان والكون فأن الصوفية يستندون إلى بيت شعر ينسب إلى علي بن ابي طالب عليه السلام وفيه:

"وتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر"

فهذا الانسان هو خليفة الله (والخليفة لا بد ان يكون موصوفاً بجميع الصفات الالهية إلا الوجوب الذاتي، ومتحققاً بكل اسمائه ليعطي مظاهر الاسماء كلها

---

(٤٦) **يوسف زيدان ، الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط١ – ١٩٨٨ ، ص٨٧ .**
(٤٧) **عبد الكريم الجيلي ، الانسان الكامل ، ج١ ، ص٤٤ بتصرف .**
(٤٨) **عبد الكريم الجيلي ، النادرات ١ : ٥ .**
(٤٩) **عبد الكريم الجيلي ، الانسان الكامل ، ج٢ ، ص٤٨ .**
(٥٠) **عبد الكريم الجيلي ، النادرات ٥٣٠ .**
(٥١) **عبد الكريم الجيلي ، الانسان الكامل ، ج٢ ، ص٤٨ .**
(٥٢) **عبد الكريم الجيلي ، النادرات ٥١٦ .**

يطلبونه، ويوصل كلاً منهم إلى كماله، وإلا لا يقدر على الخلافة وانما "قيدنا إلا الوجوب الذاتي" اذ به يمتاز "الواجب" عنه، بامكانه يمتاز "الخليفة" عن "الواجب")(٥٣).

وهذا الانسان الكامل (يقابل الحقائق العلوية بلطافته ويقابل الحقائق السلفية بكثافته، ويقابل العرش بقلبه والكرسي بانيته وسورة المنتهي بمقامه والقلم الاعلى بعقله واللوح المحفوظ بنفسه، ويقابل العناصر بطبعه والهيولي بقابليته، والبهاء بحيز هيكله، ويقابل الفلك الاطلس برأيه والفلك المكوكب بمدركته، ويقابل السماء السابعة بهمته والسادسة بوهمه والخامسة بهمه، والرابعة بفهمه والثالثة بخياله والثانية بفكره والأولى بحافظته)(٥٤)، ويقابل ايضاً الأفلاك العلوية وعناصر الطبيعة فهو (يقابل زحل بالقوى اللامسة والمشتري بالقوى الدافعة والمريخ بالقوى المحركة، والشمس بالقوى الناظرة والزهرة بالقوى المتلذذة وعطارد بالقوى الشامة والقمر بالقوى السامعة، ويقابل النار بحرارته والماء ببرودته والهواء برطوبته والتراب بيبوسته)(٥٥) فهذا الانسان بالنسبة إلى مراتب الوجود (فهو اخر مراتب التنزلات-ثم شرع الانسان يترقى منه ، وفيما نزل فيه من المراتب الوجودية، متدرجاً، سالكاً على مراتب الوجودية، إلى ان يرتقي يصل إلى المبدأ الأول وعلة العلل الذي بدأ منه أولاً)(٥٦).

أما عن العوالم الخارجية (فأول العوالم في الوجود الخارجي، هو عالم العقول والنفوس المجردة، المسمى بعالم الجبروت-ثم عالم المثال المطلق، الذي لكل (موجود) من الموجودات المجردة وغير المجردة، فيه صورة مثالية، مدركة بالحواس الباطنية، ويسمى بعالم الملكوت--ثم عالم الملك الذي هو العرش والكرسي والسماوات والعناصر وما يتركب منها)(٥٧)، وهذه العوالم الثلاثة الجبروت، والملكوت والملك هي (صور ما في العلم الالهي من الاعيان الثابتة، المسماة بالماهيات الممكنة والحقائق)(٥٨) وهذه الماهيات والحقائق تتجلى كلها في الانسان الكامل او العقل الأول (وهذا العقل الأول المشار اليه، هو الروح المحمدي صلوات الله وسلامه عليه-كما اشار اليه بقوله (أول ما خلق الله نوري) وفي رواية (روحي)، وذلك باعتبار اتصاف روحه بالكلية)(٥٩) ويرى الجيلي (ان الله خلق روح محمد من ذاته، فجعله مظهراً لكماله وجماله وجلاله،

داود القيصري ، المقدمات على شرح التائية الكبرى ، تحقيق : عثمان يحيى ، كتاب الحكمة المتعالية في الاسلام ضمن كتاب نصوص فلسفية لم تنشر ، د. عثمان امين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ ، ص٢٧٤- ٢٧٥ .

عبد الكريم الجيلي ، الانسان الكامل ، ط ، ١٩٦٣ ، ج٢ ، ص٤٧ .

عبد الكريم الجيلي ، الانسان الكامل ، ص٤٧ .

داود القيصري ، المقدمات على شرح التائية الكبرى ، ص٢٣٧ .

المصدر نفسه ، ص٢٣٨ .

المصدر نفسه ، ص٢٣٨ .

داود القيصري ، المصدر السابق ، المقدمات على شرح التائية الكبرى، ص١٢٨- ٢٣٩ .

ثم خلق العالم بأسره من روح محمد)[٦٠] فالانسان الكامل هو (اصل الوجود، أو هو القطب الذي تدور عليه رحى الوجود من أوله إلى آخره)[٦١] وبعد هذا الفهم للكلمة على انها الانسان الكامل وان هذا الانسان هو (الحق، وهو الذات وهو الصفات، وهو العرش، وهو الكرسي، وهو اللوح، وهو القلم، وهو الملك، وهو الجن، وهو السماوات وكواكبها والارضون وما فيها)[٦٢].

وبعبارة الجيلي فأن الانسان الكامل هو (الحق وهو الخلق، وهو القديم، وهو الحادث فلله در من عرف نفسه معرفتي اياها، لأنه عرف ربه لمعرفته لنفسه)[٦٣] وخلاصة كل هذه الاقوال ان الانسان الكامل (هو محمد (ﷺ) والباقون من الانبياء والاولياء، ملحقون به لحوق الكامل بالاكمل)[٦٤]. وهذا اللفظ كما يرى الجيلي (لا يجوز إلا لمحمد (ﷺ) إذ هو الانسان الكامل بالاتفاق... واسمه الاصلي محمد، وكنيته ابو القاسم، ووصفه عبد الله ولقبه شمس الدين)[٦٥].

المطلب الرابع: الكلمة بمعنى المطاع في نظرية الغزالي

ان الغزالي من الشخصيات التي تميزت في الفكر الاسلامي وذلك أنه كان متكلماً "اشعريا" وفيلسوفاً ناقداً للفلسفة وصوفياً عز نظيره، وفي الحقيقة انه بالرغم من ان الجمع بين هذه الامور يبدو جيداً إلا انه لا يخلو من تشوه ايضاً. وبالرغم من ان العلوم الثلاثة هدفها الوصول إلى الحقيقة. إلا ان الطرق والمناهج مختلفة، فما يقول به الفلاسفة قد لا يكون مقبولاً عند المتكلمين والصوفية لتضاربه مع النص مثلاً مما يؤدي إلى الاخلال بقواعد العقيدة والايمان. وما يقول به الصوفية في مجال المعرفة الذوقية قد لا يكون مقبولاً عند الفلاسفة والمتكلمين لأنه لا يخضع للعلم البرهاني فهو لا يلزم إلا صاحبه، وما يقول به المتكلمين قد لا يكون مقبولاً عند الفلاسفة والصوفية. لأن اسباب العلم عندهم موقوفة على الوحي والخبر الصادق والعقل، والحواس، بل ان الغزالي يرى (ان مذهب المتكلمين جملة وتفصيلاً اوهام لا توصل إلى اليقين)[٦٦]، في حين ان الكشف والمشاهد، اسباب لا يمكن للصوفي لا يتجاوزها وان كانت لا تلزم غيره إلا انها عنده علوم يقينية، وكذلك الاشراق عند الفلاسفة الاشراقيين التي يعتبرونه سبباً للمعرفة يتأتى عن طريق الرياضة والمجاهدة. والغزالي في تناوله

---

(٦٠) عبد الكريم الجيلي ، الكهف والرقيم ، ورقة ٥ أ .

(٦١) عبد الكريم الجيلي ، الانسان الكامل ، ج٢ ، ص٤٦ .

(٦٢) يوسف زيدان ، الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي ، ص٩٣ .

(٦٣) عبد الكريم الجيلي،مراتب الوجود وحقيقة كل موجود،مكتبة الجندي،القاهرة ،(د ت)، ص٤٢.

(٦٤) د. يوسف زيدان ، الفكر الصوفي عند عبد الكريم الجيلي ، ص٩٣ .

(٦٥) عبد الكريم الجيلي ، الانسان الكامل ، ج٢ ، ص٤٧ .

(٦٦) د. حسام الالوسي ، دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٠ – ١٩٨٠ ، ص٢٤٩ .

معنى الكلمة يبقى متحيراً بين شخصياته الثلاثة، فهو في نظرية المطاع لا يستطيع ان يتجاوز موقفه. كمتكلم اشعري فقد اخذ نظرية الاشاعرة في الكلمة ولكنه توسع في تفسير الآية التي اعتمدها الاشاعرة في نظريتهم التي لابد من ذكرها بايجاز باعتبارها مقدمة لنظرية الغزالي في المطاع لقد قال الاشاعرة: (ان من كلام الله كلمة التكوين والأمر الالهي وانهم استشهدوا بالآية {ألا له الخلق والأمر}(٦٧) على ان الامر قديم وهو من كلام الله" لأن الله تعالى يستعمله في مقابلة الخلق : فكان لله عالمين عالم الخلق-وهو العالم المحسوس-وعالم الامر وهو العالم المعقول او العالم الروحي)(٦٨) ويذكر الدكتور عفيفي ان الغزالي (قد تناول نظرية الاشاعرة من بعدهم.. فتوسع فيها بعض التوسع وصبغها صبغة فلسفية تصوفية وانتهى بها إلى نظرية في "الكلمة")(٦٩) اما الاستاذ نيكولسون فهو يميل إلى الاعتقاد بأن نظرية الغزالي في (المطاع " تتفق مع نظريات المتأخرين من الصوفية: وان المطاع يمثل الصورة المثالية التي يسمونها الحقيقة المحمدية او الروح المحمدي: الانسان السماوي الذي خلقه الله على صورته، ويعتبرونه قوة كونية يتوقف عليها نظام العالم وحفظه)(٧٠).

والمطاع اللفظ الذي يعتبره الدكتور عفيفي غريباً اذ لم يستعمله إلا في مشكاة الانوار حيث يقول: ("والمطاع" كلمة غريبة لا ادري اذا كان الغزالي يستعملها في أي مؤلف من مؤلفاته عدا "مشكاة الانوار)(٧١) في حين يرى الاستاذ نيكولسون ان (الغزالي استعار اسم المطاع من القرآن حيث ورد قوله تعالى {قل اطيعوا الله والرسول}(٧٢) الخ من الايات التي لها اهميتها في نظرية المسلمين في "الكلمة" والذين يعرفون اللغة العربية منكم يعلمون ان كلمة "المطاع" اسم مفعول من أطاع: والأمر منها "اطيعوا" الواردة في الآية، فالأمر الإلهي الوارد باطاعة الرسول يقتضي في نظر كل مسلم ان الرسول هو المطاع)(٧٣) بينما يرى الدكتور حسام الالوسي (ان الغزالي يريد بالواصلين اتباع المدرسة الفيضية، وان "المطاع" هو العقل الأول الذي هو أول ما يفيض عن الله)(٧٤)، ويستدل على ذلك من قول الغزالي في المشكاة (ان هذا "المطاع" موصوف بصفة تنافي الوحدانية المحضة والكمال البالغ، لسر لا يحتمل هذا الكتاب كشفه... وان نسبة هذا المطاع إلى الوجود الحق (وهو الله) نسبة الشمس إلى النور المحض او نسبة

سورة الاعراف ، الاية ٥٤ .

ابو العلا عفيفي ، نظريات الاسلاميين في الكلمة ، ص٤٣ .

المصدر نفسه ، ص٤٣ .

نيكولسن ، في التصوف الاسلامي ، ص١٤٧ .

ابو العلا عفيفي ، نظريات الاسلاميين في الكلمة ، ص٤٣ .

سورة ال عمران ، الاية ٣٢ .

نيكولسون ، في التصوف الاسلامي ، ص١٤٧ ـ ١٤٨ .

د. حسام الالوسي ، دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي ، ص٢٤٧ ـ ٢٤٨ .

النار إلى جوهر النار الصرف ، فتوجهوا من الذي يحرك السماوات ومن الذي امر بتحريكها فوصلوا إلى موجود منزه عن كل ما أدركه بصر الناظرين وبصيرتهم، وجدوه منزه ومقدس عن كل ما وصفناه من قبل)[٧٥] ويفسر الالوسي هذا النص بان المراد من المطاع هو العقل الأول فيقول: (هذا المطاع عندي هو العقل الأول عند الفيضيين وهو ليس واحداً لأنه ممكن بذاته، واجب الوجود بغيره)[٧٦].

وفي الوقت الذي يقدم الالوسي تفسيره لكلام الغزالي في المطاع نجده ينتقد الدكتور عفيفي في فهمه لنص الغزالي السالف بأن (المطاع لا محالة كلمة شديدة الارتباط بالأمر كما شخصه الاشاعرة حتى صار موجوداً له صفات غير صفات الوحدانية المحضة والكمال البالغ الذي لله)[٧٧] فيقول الالوسي (ومن هنا يبدو غلط عفيفي في مقدمته للمشكاة حيث اختلط عليه الأمر وشوش على قارئه كثيراً ، وخلص إلى ان المطاع هنا ليس العقل الأول وان الغزالي لا يشير إلى نظرية الفيض بحجة نقضها في كتابه (التهافت)[٧٨]وانه انما يصدر عن فكرته الاشعرية أي رأي الاشاعرة في كلام الله)[٧٩]. والدكتور عفيفي يتسائل: (فهل يعني الغزالي "بالمطاع" العقل الالهي الظاهر اثره في الوجود، الساري في جميع المخلوقات: أي تلك القوة العاقلة التي تدرك عن طريق افعالها وآثارها والتي بها يتصل الانسان بطريق الوحي والالهام؟ واذا كان كذلك "فالمطاع" هو الكلمة (Logos) ونظرية الغزالي نظرية اسلامية في "الكلمة" لا شك فيها فيكون "المطاع" على هذا اشبه شيء "بالخليقة" او "البرزخ")[٨٠].

ومن خلال النظر في الآراء السالفة الذكر يتبين ان هناك ثلاثة آراء في أصل نظرية الغزالي في "المطاع" وهي:

١. يرى الاستاذ نيكولسون ان أصل نظرية الغزالي في المطاع مرتبط بالآراء الصوفية "فالمطاع" عند الغزالي بحسب رأي نيكولسون هو الروح المحمدي أو الحقيقة المحمدية، أو العقل، أو الإنسان الكامل المتمثل بشخصية النبي محمد (ص) حيث يقول: (فالأمر الإلهي الوارد باطاعة الرسول يقتضي في كل مسلم أن الرسول هو " المطاع")[٨١].

---

(٧٥) الغزالي ، مشكاة الأنوار ، طبعة القاهرة ، ١٣٢٢ ، ص٥٤ – ٥٦ .
(٧٦) د. حسام الالوسي ، دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي ، ص٢٤٧ ، الهامش (٢١) .
(٧٧) ابو العلا عفيفي ، نظريات الاسلاميين في الكلمة ، ص٤٥ .
(٧٨) ابو اعلا عفيفي ، مقدمته في تحقيق كتاب مشكاة الأنوار للغزالي، القاهرة، ١٩٦٤، ص و٢٩.
(٧٩) د.حسام الالوسي، دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي، ص٢٤٨
(٨٠) ابو العلا عفيفي، نظريات الاسلاميين في الكلمة، ص٤٥– ٤٦ .
(٨١) نيكولسون، في التصوف الاسلامي ، ص١٤٨.

٢. رأي الدكتور عفيفي الذي يخلص إلى ان اصل نظرية الغزالي في "المطاع" هو اصل كلامي، بل هو امتداد لنظرية الاشاعرة في (ان من كلام الله كلمة التكوين والأمر الإلهي... ولكنه بالفعل يقصد بالمطاع شيئاً اشبه بالأمر الإلهي الذي مثلته الاشاعرة وجعلت منه شخصية لها القوة على الخلق والتدبير)(٨٢).

٣. رأي الدكتور الالوسي والذي يقضي بان أصل نظرية الغزالي في "المطاع" اصل فلسفي فيضي فهو يرى: (ان الغزالي يريد بالواصلين اتباع المدرسة الفيضية، وان "المطاع" هو العقل الأول الذي هو أول ما يفيض عن الله)(٨٣)، ويستدل على ذلك بأن هذا المطاع (موصوف بصفة تنافي الوحدانية المحضة)(٨٤) والعقل الأول عند الفيضيين (ممكن بذاته وواجب بغيره)(٨٥).

ونص إلى ما يخلص اليه من القول (هذا المطاع عندي هو العقل الأول عند الفيضيين)(٨٦) وأرى ان المسألة ممكن ان تسوى بين الآراء الثلاثة باعتبار النتيجة فبما ان الصوفية يرون ان العقل او الروح المحمدي او الحقيقة المحمدية وهو المراد بالمطاع وهو بالنتيجة شيء بين الله او الكون وهو الكلمة وان نظرية المتكلمين في ان الامر الإلهي أو القوة العاقلة او البرزخ او الخليفة هو المراد "بالمطاع " وبالتالي فهو شيء بين الله والكون وهو الكلمة. وان رأي الفلاسفة في ان العقل الأول هو المراد بالمطاع وهو الواسطة بين الله ومخلوقاته، فهو بالمحصلة شيء بين الله والكون وهو الكلمة، واني وان كنت ارجح رأي الأستاذ نيكولسون لما له من شواهد كثيرة في كتب الغزالي كالاحياء، والمنقذ وغيرها. إلا انني لا ارى ضير من التوفيق بين الآراء حيث انها كل كلها على ان "المطاع" هو شيء بين الله والكون وانه الكلمة التي بها ابتدأ الوجود.

الخاتمة

لقد استمدت الفلسفة الاسلامية بعض الافكار من ثقافة الحضارات القديمة التي سبقت الاسلام ومن خلال ما عرضناه من تناول الصوفية لمدلولات الكلمة توصلت إلى النتائج الآتية:

---

(٨٢) ابو العلا عفيفي، نظريات الاسلاميين في الكلمة ، ص٤٣ .
(٨٣) حسام الالوسي، دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي ، ص٢٤٧ ــ ٢٤٨ .
(٨٤) الغزالي، مشكاة الأنوار، تحقيق : ابو العلا عفيفي ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص٨٩ .
(٨٥) ينظر الفارابي، رسالة زيتون الكبير، حيدرآباد ١٣٤٩، ص٦، وكذلك ابن سينا ، النجاة القسم الثالث، ص٤٥٣، والشفاء قسم الإلهيات ، ج٢، ص٤٠٦.
(٨٦) حسام الالوسي، دراسات في الفكر الاسلامي، ص٢٤٧، الهامش (٣٧) .

ان الصوفية في الاسلام اهتمت وتوسعت في عرض مدلولات الكلمة مما أدى إلى اختلاف في التعبير عن هذا اللفظ، كما ان تعدد معاني الكلمة في الفكر الصوفي وان اختلفت فأنها تدل على شيء واحد وهو مبدأ الوجود وأساس الخلق والمادة الاولى والواسطة بين الخالق وبين الخلق، فهذا المخلوق الأول له نسبة يقترب بها من الخالق باعتباره صادر عنه ونسبة اخرى يقترب من المخلوق باعتباره اساساً لوجوده فهو أول الخلق، ولكن الاختلاف في مدلولات الكلمة في الفكر الصوفي ناتج عن اختلاف نظرة الصوفي إلى هذا الشيء فمنهم من نظر اليه باعتبار الطريق الموصل اليه، ومنهم من نظر اليه باعتبار وجوده كأكمل ما في الوجود، ومنهم من نظر اليه باعتبار حقيقة الممدة لكل الموجدات بالوجود، والحياة، والعلم. ومنهم من تناوله باعتباره روح الشريعة. ومنهم نظر اليه من ناحية قدسيته، وهناك من اطلق عليه الفناء وذلك باعتبار الطريق الموصل اليه، ومنهم من أطلق على الكلمة معنى الانسان الكامل باعتبار وجوده كأكمل موجود، وقسم اخر اطلق على الكلمة معنى الحقيقة المحمدية وتلك باعتبار حقيقة الممدة لكل الموجودات والحياة والعلم.

وقسم اخر جعل الكلمة بمعنى المطاع وذلك باعتبارها روح الشريعة وهو الروح المحمدي لإقتران طاعته بطاعة الله تعالى (واطيعوا الله والرسول)، وقسم اعتبر العقل الاول هو دلالة للكلمة وذلك باعتبار قدسيته.